وبان اصله نار والملائكة اصلها نور وقد تقدم لنا كلام في هذه في اول الكتاب قوله ع فافتخر على آدم بخلقته وتعصب
عليه لاصله كانت خلقته اهول من خلقة آدم ع وكان اصله من نار واصل آدم ع من طين فان قلت كيف
حكم على ابليس بالكفر ولم يكن منه الا مخالفة الامر ومعلوم ان تارك الامر فاسق لا كافر قلت انه اعتقد ان
الله امره بالقبيح ولم ير امره بالسجود لآدم ع حكمة وامتنع من السجود تكبرا ورد على الله امره واستخف بمن اوجب
الله اجلاله وظهر ان هذه المخالفة عن فساد عقيدة فكان كافرا فان قلت هل كان كافرا في الاصل ام كان
مؤمنا ثم كفر قلت اما الزمخشري فاكثرهم يقول كان في الاصل كافرا لان المؤمن عندهم لا يجوز ان يكفر واما اصحابنا
فلما كان هذا الاصل عندهم باطلا توقفوا في حال ابليس وجوزوا كلا الامرين قوله ع رداء الجبرية الباء مفتوحة
يقال فيه جبرية وجبروة وجبروت وجبورة كفروجة اي كبر وانشدوا فانك ان عاديتني غضب الحصى عليك
وذو الجبورة المتغطرف وجعله مدحورا اي مطرودا مبعدا ادحره الله دحورا اي اقصاه وطرده الاصل ولو اراد
الله سبحانه ان يخلق آدم من نور يخطف الابصار ضياؤه ويبهر العقول رواؤه وطيب يأخذ الانفاس عرفه
لفعل ولو فعل لظلت له الاعناق خاضعة ولخفت البلوى فيه على الملائكة ولكن الله سبحانه يبتلي خلقه
ببعض ما يجهلون اصله تمييزا بالاختبار لهم ونفيا للاستكبار عنهم وابعادا للخيلاء منهم فاعتبروا بما كان
من فعل الله بابليس اذ احبط عمله الطويل وجهده الجهيد وكان قد عبد الله ستة آلاف سنة لا يدرى
أمن سني الدنيا ام من سني الآخرة عن كبر ساعة واحدة فمن بعد ابليس يسلم على الله بمثل معصيته كلا ما
كان الله سبحانه ليدخل الجنة بشرا بامر اخرج به منها ملكا ان حكمه في اهل السماء والارض لواحد وما بين الله
وبين احد من خلقه هوادة في اباحة حمى حرمه على العالمين الشرح خطفت الشيء بكسر الطاء اخطفه اذا
اخذته بسرعة استلابا وفيه لغة اخرى خطف بالفتح يخطف بالكسر وهي لغة رديئة قليلة لا تكاد تعرف
وقد قرأ بها يونس في قوله تع يكاد البرق يخطف ابصارهم والرواء بالهمزة والمد المنظر الحسن والعرف الريح الطيبة
والخيلاء بضم الخاء وكسرها الكبر وكذلك الخال والمخيلة تقول اختال الرجل وخال ايضا اي تكبر واحبط عمله
اي ابطل ثوابه وقد حبط العمل حبطا بالتسكين وحبوطا والمتكلمون يسمون ابطال الثواب احباطا وبطلان العقاب
تكفيرا وجهده بفتح الجيم اجتهاده وجده ووصفه بقوله الجهيد اي المستقصى من قولهم مرعى جهيد اي قد جهده
المال الراعي واستقصى رعيه وكلامه ع يدل على انه كان يذهب الى ان ابليس من الملائكة لقوله اخرج
منها ملكا والهوادة الموادعة والمصالحة يقول ان الله تع خلق آدم من طين ولو شاء ان يخلقه من النور
الذي يخطف او من الطيب الذي يعبق لفعل ولو فعل لهال الملائكة امره وخضعوا له فصار الابتلاء والامتحان
والتكليف بالسجود له خفيفا عليهم لعظمته في نفوسهم فلم يستحقوا ثواب العمل الشاق وهذا يدل على ان الملائكة
تشم الرائحة كما نشمها نحن ولكن الله تع يبتلي عباده بامور يجهلون اصلها اختبارا لهم فان قلت ما معنى
قوله ع تمييزا بالاختبار لهم قلت لانه ميزهم عن غيرهم من مخلوقاته كالحيوانات العجم وابانهم عنهم وفضلهم
عليهم بالتكليف والامتحان قال ونفيا للاستكبار عنهم لان العبادات خضوع وخشوع وذلة ففيها نفي الخيلاء
والتكبر عن فاعليها ثم امرهم بالاعتبار بحال ابليس الذي عبد الله ستة آلاف سنة لا يدرى أمن سني الدنيا
ام سني الآخرة وهذا يدل على انه قد سمع فيه نصا من رسول الله ص مجملا لم يفسره له او فسره له خاصة ولم يفسره
امير المؤمنين ع للناس لانه يعلمه ويكتمه عنهم من المصلحة فان قلت قوله لا يدرى على ما لم يسم فاعله يقتضي انه
هو لا يدرى قلت انه لا يقتضي ذلك ويكفي في صدق الخبر اذا ورد بهذه الصيغة ان يجهله الاكثرون فاما القول
في سني الآخرة كم هي فاعلم انه قد ورد في الكتاب العزيز آيات مختلفات احديهن قوله تعرج الملائكة والروح اليه في يوم
كان مقداره خمسين الف سنة والاخرى قوله يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف
سنة مما تعدون والثالثة قوله وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون واولى ما قيل فيها ان المراد بالآية

الاولى

الاولى مدة عمر الدنيا وسمى ذلك يوما وقال ان الملائكة لا تزال تعرج اليه باعمال البشر طول هذه المدة حتى ينقضي التكليف و
ينتقل الامر الى دار اخرى واما الآيتان الاخيرتان فمضمونهما بان كثيرا ايام الآخرة وهو ان كل يوم منها مثل الف سنة
من سني الدنيا فان قلت فعلى هذا كم يكون مدة عبادة ابليس اذا كانت ستة آلاف سنة من سني الآخرة قلت
يكون ما يرتفع من ضرب احد المضروبين في الآخر وهو الف الف ثلاث لفظات الاولى منهن مئتان ومائة
الف الف لفظتان وستون الف الف سنة لفظتان ايضا من سني الدنيا ولما رأى امير المؤمنين ع هذا المبلغ
عظيما جدا علم ان اذهان السامعين لا تحتمله فلذلك ابهم القول عليهم وقال لا يدرى أمن سني الدنيا ام من سني
الآخرة فان قلت فاذا كنتم قد رجحتم قول من يقول ان عمر الدنيا خمسون الف سنة فكم يكون عمرها ان كان الله تعالى
اراد خمسين الف سنة من سني الآخرة لانه لا يؤمن ان يكون اراد ذلك اذا كانت السنة عنده عبارة عن مدة غير هذه
المدة التي قد اصطلح عليها الناس قلت يكون ما يرتفع من ضرب خمسين الفا في ثلثمائة وستين الف سنة ومبلغ
ذلك ثمانية عشر الف الف سنة من سني الدنيا ثلاث لفظات وهذا القول قريب من القول المحكي عن الهند وروى
ابو جعفر محمد بن جرير الطبري في تاريخه روايات كثيرة باسانيد اوردها عن جماعة من الصحابة ان ابليس كان اليه ملك
السماء الدنيا وملك الارض وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن وانما سموا الجن لانهم كانوا خزان الجنان
وكان ابليس رئيسهم ومقدمهم قال وكان اصل خلقهم من نار السموم وكان اسمه الحارث قال وقد قيل كان الجن
كانت في الارض وانهم افسدوا فيها فبعث الله اليهم ابليس في جند من الملائكة فقتلهم وطردهم الى جزائر البحار ثم
تكبر في نفسه ورأى انه قد صنع شيئا عظيما لم يصنعه غيره قال وكان شديد الاجتهاد في العبادة وقيل كان اسمه عزازيل
وان الله تع جعله حكما وقاضيا بين سكان الارض قبل خلق آدم فدخله الكبر والعجب لعبادته واجتهاده وحكمه
في سكان الارض وقضائه بينهم فانطوى على المعصية حتى كان من امره مع آدم ع ما كان قلت ولا ينبغي ان نصدق
من هذه الاخبار وامثالها الا بما ورد في القرآن العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه او في السنة
او نقل عمن يجب الرجوع الى قوله وكل ما عدا ذلك فالكذب فيه اكثر من الصدق والباب مفتوح فليقل كل احد في
امثال هذه القصص ما شاء واعلم ان كلام امير المؤمنين ع في هذا الفصل يطابق مذهب اصحابنا في ان الجنة لا
يدخلها ذو معصية الا تسمع قوله فمن بعد ابليس يسلم على الله بمثل معصيته كلا ما كان الله ليدخل الجنة بشرا
بامر اخرج به منها ملكا ان حكمه في اهل السماء واهل الارض لواحد فان قلت اليس من قولكم ان صاحب الكبيرة
اذا تاب دخل الجنة فهذا صاحب معصية وقد حكمتم له بالجنة قلت ان التوبة احبطت معصيته فصار كانه لم يعص
فان قلت ان امير المؤمنين ع انما قال فمن بعد ابليس يسلم على الله بمثل معصيته ولم يقل بالمعصية المطلقة والمرجئة
لا تخالف في ان من وافى القيامة بمثل معصية ابليس لم يكن من اهل الجنة قلت كل معصية كبيرة فهي مثل معصيته
ولم يكن اخراجه من الجنة لانه كافر بل لانه عاص مخالف للامر الا ترى انه سبحانه قال فاخرج منها فما يكون لك
ان تتكبر فيها فعلل اخراجه من الجنة بتكبره لا بكفره فان قلت هذا مناقض لما قدمت في شرح الفصل الاول قلت
كلا لاني في الفصل الاول عللت استحقاقه اسم الكفر بامر زائد على المعصية المطلقة وهو فساد اعتقاده ولم اجعل
ذلك علة في خروجه من الجنة وههنا عللت خروجه من الجنة بنفس المعصية فلا تناقض فان قلت ما معنى قول
امير المؤمنين ع ما كان الله ليدخل الجنة بشرا بامر اخرج به منها ملكا وهل يظن احد ان يقول ان الله تع يدخل
الجنة احدا من البشر بالامر الذي اخرج به منها ابليس كلا هذا مما لا يقوله احد وانما الذي يقوله المرجئة انه يدخل الجنة
من قد عصى وخالف الامر كما خالف ابليس برحمته وعفوه وكما يشاء لا انه يدخله الجنة بالمعصية وكلام امير المؤمنين ع
يقتضي نفي دخول احد الجنة بالمعصية لان الباء للسببية قلت الباء ههنا ليست للسببية كما توهم هذا المعترض بل
هي كالباء في قولهم خرج زيد بثيابه ودخل زيد بسلاحه اي خرج لابسا ودخل متسلحا اي يصحبه الثياب ويصحبه
السلاح فكذلك قوله ع بامر اخرج به منها ملكا معناه ان الله تع لا يدخل الجنة بشرا يصحبه امر اخرج الله به منها

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)